الشيء المفقود ...

قصة بقلم محمود الحسيني المرسي

لا شيء يثير الانتباه ... اسفلت الشارع يلمع .. حلقات المجاري ناتئة.. هيه ! .. اين ذراعي اليمنى.. ها هي في جيب بنطلوني الايسر .. أقصد الايمن فرائصي ترتعد .. يبدو ان الجو بارد الليلة .. ولكن يداي يشيع في احداهما الدفء .. ورقبتي أحس كأنها تختنق .. ما زلت أسير .. وشعور مبهم يجثم على صدري .. يخنق انفاسي .. لا أدري كنهه .. ولكنني أستطيع أن اميز احساسا غريبا .. أحس بأن شيئا ما فقد مني .. أشعر برغبة جامحة في العثور على ذلك الشيء المفقود .. وقبل أن تتحول أشارة المرور دما قانيا حاولت الانفلات الى الرصيف الاخر .. ولكن دون جدوى .. كلهم انفلتوا ما عداي .. وتلفت في كل انجاه ... لا اجد رفيقا لي .. وما هي الا هنيهات حتى عج المكان بخلق الله .. كأن الارض قد ابجست عنهم .. او ان لعنة السماء قد لفظتهم ... عن يميني رجل تشع السعادة من عينيه وان كان الاهمال باديا من ملابسه .. لعله فنان .. يده اليمنى معقودة في ذراع امرأة .. المرأة في حياتي كانت كأي شيء عابر .. كبائع العرقسوس الذي يجلجل الميدان بصياحه ومع ذلك أكاد لا أسمع له صوتا .. والان .. الان فقط .. احس كأن صوته يصم اذني .. لا لشيء الا لانني ظمآن .. حلقي يحترق بللت شفتي بطرف لساني .. سيل العربات الماجنة يندلح في الشارع .. عربة اثر عربة .. ولا واحدة تشبه الاخرى .. والمكان قد اكتظ بالعابرين .. لا أحد ينظر ، الى الاخر .. كلهم عيونهم معلقة باشارة المرور .. ينتظرون العبور .. انظر الى حذائي الاسود اللامع ذي الطرف المدبب الذي يدهسه الواقفون .. وتعلق نظري بساعة الميدان .. كأن عقرب الساعات يقف بليدا تعصره الوحدة .. ينظر الى العقرب الاخر في لوعة وأسى .. والعقرب الاخر لاه في دورته الابدية .. ولم أعرف كم الوقت والعصفور المسكين لا يزال قابعا على حافة الصورة المعلقة .. انه يلتفت كالتائه .. وانقلب اللون الاحمر القاني الى أخضر باهت .. وعبرت الطريق مع العابرين .. قدماي تجراني الى حيث لا أدري .. كل ما يستولي على ذهني هو ذلك الشيء المهم الذي لا أدري له كنها .. أشعر بدوار في رأسي كأن العاصمة الصاخبة تقبع فيه .. وقفت مبهوتا .. مبهور الانفاس .. كل جزء من أجزاء جسمي الضامر النحيل يرتعد .. انها اية .. اية من ايات الحسن .. تقبل على .. شعرها الاصفر المتموج ينسدل على كتفيها بطريقة مثيرة .. نهداها بارزان في تحد واصرار .. تقبل في دلال وتآود .. اصبحت قبالتي مع الانحراف قليلا .. وأنا متسمر في مكاني كأني أحد اكشاك السجائر التهمها بنظراتي الوقحة .. لكنها دهست خيالي المرتمي بجانبي .. نصفه على الطريق والنصف الاخر فوق الرصيف .. ودون أن تبالي مرت ...

ما أشبهني ببائع الحلوى أو صبي الفرن .. كلاهما جائع محروم.. فان قصصي تعج بالفتيات الجميلات .. ابطال قصصي كلها فتيات .. اعبث بهن كيفما شئت لتنتصر هذه في النهاية على عشيقها الذي كاد يخونها .. او ليهجرها الى الابد تاركا اياها تعيش على ذكرى الماضي الجميل .. ولترم تلك بنفسها في النيل فهي لا تحتمل فراق عشيقها المسكين .. والعصفور قد غادر اطار الصورة .. فرد جناحيه .. حلق في اجواء الحجرة .. ارتطم بالحائط كاد يهوى على الارض لولا انه رفرف بجناحيه في اجهاد .. وعاد الى مكانه فوق اطار الصورة .. وللمرة العاشرة أن لم أكن قد اخطأت العد .. كانت يداي تتحسسان عنق « الكرافت » أحسست كأنها تخنقني .. كدت انزعها .. الهواء لم يعد يدخل أنفي .. الناس يتزاحمون أمام شباك تذاكر السينما .. كلهم سعداء .. هاك استاذ أنيق .. بدين .. يده متشبثة بيد امرأة بارعة الجمال .. وهاتان فتاتان منزويتان .. لعلهما ينتظران فارس احلامهما . وهاك فتاة سيدة أو سيدة فتاة .. تنظر الى اعلان السينما .. عجبا.. « الشيء المفقود » عنوان الفيلم المزمع عرضه هذا المساء .. اقتربت من شباك التذاكر .. مددت له اصبعي .. سألني بائع التذاكر « اثنتين » وقبل أن اجيب ضحكت ... ضحكت حتى ظنني معتوها ... واجبت في اقتضاب « واحدة » ودلفت .. الظلام يخيم على الصالة .. وفي احدى الصفوف الخلفية .. سرت أتحسس الطريق .. واستطعت اخيرا ان اعثر على مقعد خال .. ارتميت عليه .. لم أر غير النور الذي يشع من الشاشة البيضاء .. وظهر شيخ ضرير .. متكئا على عصاه .. يسأل المارة .. أين المسجد ؟ . دلوني على المسجد ؟!. والناس تلتفت اليه .. ثم تشيح بوجهها لا تعبأ به .. ويأخذه طفل غرير يقوده خطوة او خطوتين .. ويتركه في عرض الطريق .. وتأتي عربة .. وتصدم الشيخ .. وتند صرخة من جانبي .. وانظر جانبي .. ولم استطع رؤية شيء .. فان عيني لم تتعودا الظلام بعد .. وانظر ثانيا .. وثالثا أكاد اختنق .. وبلا تردد انتزعت « الكرافت » كورتها .. وضعتها بجيب الجاكت الايسر..ذراعي اسندتها فوق المسند .. شيء لين لم احس به في حياتي خدر أعصابي .. ولاول مرة اشعر بانني أعيش كبقية الناس .. ولكنها ما لبثت ان سحبت ذراعها .. بحلقت فيها .. كانت هي شاشتي البيضاء .. وهمهمت « هذا هو الشيء المفقود » انني الان سعيد .. فلم اعد حبيس أربعة جدران وقلم وأوراق .. ومقعد قديم مخضرم ... واضيئت الانوار معلنة الاستراحة .. وهبت نسمات فجأة .. انعشت صدري .. وعلت همهمات .. وتعليقات .. وتبعثرت ضحكات المرح والسعادة .. أنا الاخر سعيد .. ومر بائع الكازوزه .. وفكرت في زجاجتين واحدة لي والاخرى لها .. لولا ان شيئا افقدني النطق .. سمعتها تقول لمن يجلس بجوارها « أنا لا اشرب الكوكاكولا .. أريد ليمونا » ورأيتها تسحب طفلا رضيعا .. تضعه على ركبتيها ثم تلقمه ثديها البض يا الله .. ان انفاسي تكاد تختنق .. ولفظتني البوابة الكبيرة .. اصبحت في عرض الشارع .. اصوات « التورماي » تمزق سكون الليل .. والشارع كاد يخلو من المارة .. غير رجلين عائدين من عملهما المسائي .. ورجل وامرأة عائدين من احدى السهرات .. وعربة تمرق دون ان تستعمل الة التنبيه..ودون ان توقفها اشارة المرور .. وعسكري المرور قد راح في غيبوبة من النوم .. والعصفور المسكين لا زال حائرا .. يحوم في جو الغرفة .. ثم لا يلبث ان يرتطم بناحية من الحائط .. ثم يعود يائسا ليستقر فوق اطار الصورة .. وعلى الرصيف الايمن .. شاهدت طفلا صغيرا .. يبكي .. لم تبكي يابنتي .. قرش فقد منك .. لا تبك .. هاك قرشا غيره .. واعطيته قرشا .. ليت كل ما يبكينا هو النقود .. فرح به الطفل وهرول نحو كشك السجائر .. يبتاع واحدة لابيه .. وربما لامه .. آه هناك بعض النساء في هذه الايام يشربن السجائر .. وعدت اتخذ نفس الطريق نحو البيت .. اصبحت في قلب الميدان .. لا زال العقرب الصغير يبحث عن العقرب الاخر ..

صلوات الى الآلهة الحجري

أيها المنزل قرآن عذابي
ان في دارك الاخر بابي
ان في بابك داري
أيها المنزل قرآن دماري
ان بابي كجداري
ابدا لم تهدمه فأسي
أبدا لم تحرقه ناري
ان ناري
كدجى أمسي ، كيأسي
أبدا تكبر في حقلي وداري

...

قلت يوما .. ستراني
آه من هول الثواني ،
فالثواني
من دجى عينيك أعوامي الاخيرة
وصلاتي
ومماتي

أيها المنشىء في موتي ،
أيام حياتي

...

أيها الرب الذي أنزل في صدري ،
حرفا من ضجر
من رمال وحجر
لم أعد أكتم حرفك لا ،
لم أعد أكتم سر
لم يعد لي في خباياك مقر
كلما لاذ بي الصمت وأخفى ،
ذلك الحرف جهر

...

يا الهي الحجري
انا عبد واله ونبي

...

من هو القادم من
من هو الذاهب من
اخر الاطهار في هذا الزمن
بعدما جئت وجاء
بعدما جئنا ـ ذهبنا
بعذاب الانبياء

...

يا الهي الحجري
لا تدع سرك ، قرآنك فيَّ
لا تحدق في أسى عينيَّ ،
لا تنظر اليَّ

...

انا عبد ونبي
واله فاقد الكلمة والصمت
غريب .. وشقي .

القاهرة — **نصار محمد عبد الله**

وهما لا يلتقيان .. « مكتب مجلة الشباب .. هنـــا تقبل الاعلانات » وعرجت .. اخرجت قلما .. تناولت ورقـــة .. وكتبت .. « شاب مكافح .. ينتظره مستقبل لا بأس به .. يبحث عـــن نصفه الاخر .. العنوان ٧ شارع بني حسين .. بالسيدة » .. وانصرفت ..

الجـو لا زال يضيق الخناق علـى انفاسي .. نحن مع طلائع فصل الخريف .. في هذه الايام يحلو لي السهر حتى تبـــزغ الشمس .. واحيانا حتى ينتصف النهار .. هاك كشك للسجائـر والحلويات مـــا اكثرها في الميدان .. سألني ماذا تريد .. لست ادري فقـــد نسيت قلت له « سيجارة » أنا لا أشرب السجائر .. جعلتها بيـــن شفتي .. ومشيت .. الشارع كاد يخلو تماما .. ومشيت .. وسقطت السيجارة من بين شفتي .. دهستها بحذائي المدبب دون قصد .. او لعلي بقصد .. واحتواني شارع السد .. حارة بني حسيـــن شارع ٧ .. ادرت المفتاح في ثقب الباب .. فانفرج عن هواء رطب كئيب .. تهالكت علـى نفس المقعد القديم المخضرم .. اوقدت موقد « السبرتو » .. ووضعت براد الشاي .. وصنعت كوبا من الشاي الاسود كعادتي .. امسكت القلم بين انامليَّ .. وامامي الاوراق المتناثرة .. كانت الساعة قـــد جاوزت الثالثة صباحا عندما بدأت اكتب .. ومر الوقت حثيثا .. بطيئـــا .. ولم أزل قابعا والقلم بين انامليَّ .. وثمـــة شعور بالارتياح يغمرنـــي احسست بالبرودة .. فأخرجت « الكرافت » من جيب « الجاكت » .. ارتديتها علها تبعث في نفسي الدفء ..

ارتفع صوت باعة الجرائد .. وبائعي الحليب .. عندما دق الباب فتحت الباب .. كانت جميلة حقا .. وقبل ان افتح فمـــي تكلمت .. صوتها رخيم .. شعرها اصفر « نمرة ٧ .. شارع بنـــي .. » قاطعتها « نعم هو ذاك » .. قالت « كنت تبحث عن نصف اخر و .. » قاطعتها للمرة الثانية « نعم .. ولكنني آسف يا آنستي .. فقد وجدت الشيء الذي كنت ابحث عنه » وطار العصفور خلسة مـــن اعلـــى الباب .. متخبطا في كل شيء .. الا انه استطاع أن يجد الشارع ..

عدت الى مقعدي المخضرم .. امسكت القلم .. جعلته بين انامليَّ .. وكتبت اعلى الصفحة رقم (١) « الشيء المفقود » .

الاسكندرية — **محمود الحسيني المرسي**